مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255/E-ISSN 2588-2414
المجلد 10العدد02 –ديسمبر 2023
OEB Univ. Publish. Co.

نشأة الدراسات الصوتية وتطورها عند العرب

The emergence and development of phonetic studies among the Arabs

لينا زواوي[1*]، رضا بيرش[2]

[1] المركز الجامعي سي الحواس بريكة، Lina.zouaoui@cu-barika.dz

[2] المركز الجامعي سي الحواس بريكة، Ridha.bireche @cubarika.dz

تاريخ التسليم:2023-01-19 تاريخ التقييم:15-03-2023 تاريخ القبول: 25-04-2023

الملخص

طالما كانت الكتب المقدسة منذ القدم عند جميع الأمم والشعوب وفي مختلف الحضارات، موضعا تنصب فيه طاقات وجهود كل العلماء والباحثين، من لغويين ورجال الدين وغيرهم، ولها الفضل في أن تعمل العقول وتستخرج مكنوناتها، وبذلك تتعدد مباحث الدراسة وتتنوع ثم تتفجر على أثرها مختلف العلوم، وكان في مقدمة هذه الكتب "القرآن الكريم" الذي شهده العرب في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، حيث أحدث تطورا جذريا مس مختلف المجالات خاصة منها اللغوية، وبالتالي يكمن هدف هذه الدراسة في: محاولة الوقوف على أهم جانب لغوي ألا وهو "الجانب الصوتي"، وذلك من خلال محاولة الوقوف على أهم محطات نشأة علم الصوات وتطوره عند العرب القدامى والمحدثين.

مما لا شك فيه أن المستوى الصوتي هو أول ما يعترض سبيل الباحث أثناء ولوجه إلى أعماق دراسته، ذلك أن الأصوات قد تطرق إليها سلسلة من الدارسين العرب، الذين سخروا جهودا جبارة لخدمتها وتطورت على أيديهم، فتمخض عن جهودهم نتائج جد دقيقة وأصيلة كان لهم فضل السبق فيها، وهذه النتائج كتب لها الخلود إلى يومنا هذا، فلم ينسلخ منها المحدثون.

الكلمات المفتاحية: علم الأصوات، الصوت اللغوي، نشأة الأصوات، تطور الأصوات، فروع الأصوات.

Abstract

Since ancient times, the sacred books of all nations and peoples and in various civilizations have been a place in which the energies and efforts of all scholars and researchers, including linguists, clerics and others, are focused. At the forefront of these books was the "Holy Qur'an", which the Arabs witnessed in the second half of the first Hijri century, as it caused a radical development that touched various fields, especially linguistic ones. Therefore, the aim of this study lies in: an attempt to identify the most important linguistic aspect, which is the "phonetic aspect". This is done by trying to identify the most important stations of the origination and development of phonology among the ancient and modern Arabs.

There is no doubt that the phonetic level is the first thing that stands in the way of the researcher during his access to the depths of his study, because the sounds have been touched upon by a series of Arab scholars, who have devoted tremendous efforts to serve them and developed at their hands, so their efforts resulted in very accurate and original results that they had the advantage of being ahead of. In it, and these results were written for eternity to this day, the modernists did not deviate from it.

Keywords: phonology, linguistic phoneme, the origin of sounds, the evolution of sounds, branches of sounds.

Keywords: phonology, linguistic phoneme, the origin of sounds, the evolution of sounds, branches of sounds.

* **لينا زواوي: الاسم الكامل، الإيميل:** Lina.zouaoui@cu-barika.dz

1. مقدمة:

تعدّ اللغة من أهم مرتكزات الشعوب ومراكب الحضارات بحيث لا تقوم إلاّ بها، فهي وعاء الفكر الذي استقطب اهتمام الدارسين على مر العصور وفي مختلف العلوم، فينهلون منها ويتخذونها وسيلتهم الأساسية التي يعتمدون عليها أثناء عملية التواصل والتعبير عن كل ما يجول في الخاطر والذهن من أفكار ومعاني يستعملونها في حياتهم اليومية، وهي الركيزة التي يعتمد عليها أي باحث للوصول إلى الحقيقة وكشفها، فاللغات هي أساس تقدم ورقي كل الحضارات والوعاء التاريخي الكبير الذي يصب فيه الإنسان خلاصة تجاربه في الحياة، والجسر المتين الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل.

وقد تفطن الباحثون إلى أن هناك علاقة قائمة بين اللغة والمجتمع، وأن هناك تأثيرا وتأثرا بينهما، فقد عرف الإنسان اللغة في أقدم صورها ومارسها آلاف السنين قبل أن يدونها، ولا حتى أن يفكر في طبيعتها أو وظيفتها تفكيرا علميا، واللغة كما هو متعارف عليها بين أناسها أنها عبارة عن أصوات، والأصوات هي الجانب العملي للغة، والوسيلة التي يعتمد عليها الأفراد لبناء الصرح اللغوي العام، ولا شك أن الصوت هو أول مستوى من مستويات الدرس اللغوي، ولهذا وجب الاهتمام به كثيرا كونه منطلق أي دراسة وأول ما يُبنى عليه البحث اللغوي.

إن المطلع على التراث اللغوي العربي يجده زاخرا بمختلف الإبداعات المتعلقة بالدراسات الصوتية، هذه الأخيرة بُذلت فيها جهود جبارة تنم عن فكر وذكاء خارق ودقيق للعلماء، حيث عكف الرعيل الأول من اللغويين العرب على دراسة أصوات لغتهم، فكان الصوت اللغوي هو أحد الأنظمة الأربع – التي تتكون منها اللغة، وهي: النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام التركيبي والنظام الدلالي، فالنظام الصوتي هو الجانب الأدائي الذي يعبر عن أفكار الناس ومشاعرهم، ويستخدمه الأفراد للتواصل فيما بينهم، ولهذا انصب اهتمام الدارسين القدامى والمحدثين حوله.

الإشكالية:

تميزت اللغة العربية بأن جعلها الله تعالى لغة القران الكريم، وهي أيضا تؤدي وظيفة إنسانية عامة، ولها خصائصها الجوهرية الموجودة في سائر لغات العالم، كما أنها شاملة لكل الكلام الانساني، وتلك الخصائص هي بمثابة موضوعات درسها العرب قديما وحديثا، فالدرس الصوتي العربي قد لقي من العناية والاهتمام ما تنوء الكتب عن حمله واستيعابه، فقد أفردت كتب الدارسين العرب القدامى فصولا وأبوابا للحديث عنه، خاصة وأنه قد وجد بدافع خدمة القرآن الكريم، وسخرت عدة قرون لخدمة المستوى الصوتي، الذي كثُر رواده وأفاضوا فيه ودققوا في جزئياته حتى أصبحوا

جهابذة ونتائجهم أصيلة، وتتسم بالدقة والموضوعية خاصة أنها قد نضجت في كنف القرآن الكريم. وبناءً على ما سبق يمكننا طرح هذا التساؤل الجوهري:

ما هي أهم المحطات التي عبرها الدرس الصوتي العربي في نشأته وتطوره عند القدامى والمحدثين؟

الفرضيات:

بعد اختمار هذا التساؤل في ذهني تمخضت لدي لمحة عن فرضيات هذه الدراسة فارتأيت أن تكون على هذه الشاكلة:

- بعد نزول القرآن الكريم في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، عكف كل من النحاة وعلماء التجويد والقراءات على دراسته، ولكن سرعان ما انقلب ذلك الدافع الديني إلى درس لغوي قائم بذاته.

- إن النتائج الصوتية التي توصل إليها جهابذة العرب تتسم بالشمولية والدقة والأصالة، كما كان لهم فضل السبق في التوصل إليها.

- ان علماء العرب المحدثين الذين تناولوا الجانب الصوتي، لم ينسلخوا عن اسلافهم القدامى كما اغترفوا من الغرب المحدثين.

أهداف البحث:

وتكمن أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- التعرف على بدايات تأسيس علم الأصوات.
- الوقوف على مختلف محطات علم الأصوات.
- الاطلاع على مختلف علماء علم الأصوات.
- محاولة الإحاطة ببعض الفروقات بين القدامى والمحدثين.

منهجية البحث:

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لأخلص في الأخير إلى أن الدراسات الصوتية التي توصل إليها الرعيل الأول من الدارسين العرب قد انبثقت من القرآن الكريم ونضجت في كنفه، وذلك بفضل تضافر جهود النحاة وعلماء التجويد والقراءات الذين كانت نتائجهم اصيلة، واستمرت لعدة قرون لدرجة أن كتب لها الخلود ليومنا هذا واستلهم منها المحدثون.

2. قضايا نظرية:

1.2. تأسيس الدراسات الصوتية عند العرب وتطورها:

نشأت اللغة العربية في أحضان الجزيرة العربية نقية سليمة مما يشوبها، أو يعكر صفوها، أو يذهب نضارتها، وقد تلقاها أهلها على السليقة والسجية وأجادوا وتفننوا في اتقانها، وسحروا الناس ببيانها وجمالها، وقد لبثوا على ذلك ردحا من الزمن إلى غاية النصف الثاني من القرن الهجري الأول، حين سطع عليهم نور الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، فنزول القرآن الكريم بدوره جعل العرب تدرك بسجيتها أنه خارج عن مستوى نظمهم، فلا يستطيعون له نظيرا، وقد تحداهم في عقر دارهم من خلال حروف ألفوها، وكلمات اعتادوها وأصبحت دراسة لغة القرآن – اللغة العربية – لونا من ألوان النشاط الذهني الذي فرضته طبيعة الحياة آن ذاك أي ؛ بدافع ديني، والذي سرعان ما انقلب هذا الدافع إلى درس قائم بذاته، وهذا بفضل الرعيل الأول من اللغويين العرب الذين كانوا رجالا أولي عقل واسع، وفكر مستنير، كما أن دخول الأعاجم للإسلام ومحاولتهم فهم القرآن الكريم وتعلمه، كان سببا لبداية التفكير في وضع قواعد للغة العربية وترميزها، بهدف تعليم الأجانب النطق الصحيح لها، ذلك أنها لغة القرآن الكريم الدين المقدس.

يعتبر القرآن الكريم هو صاحب الفضل الكبير في تفجير ونشأة مختلف الدراسات اللغوية في التراث الإسلامي العربي، فهو نص لغوي اقتضى العناية به، ومن ثم الخوض في دراسته والتعمق فيه، وبسبب هذا ظهرت دراسات لغوية تطورت فيما بعد حتى بلغت ما هي عليه اليوم من التطور.

بعدما اختلطت وتعددت ألسنة الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام، أصابها اللحن والتحريف، وتفشت ظاهرة اللحن بكثرة بين الناس، فخاف علماء العرب المسلمين على القرآن الكريم من أن يصيبه اللحن مثلما أصاب الألسنة، ومثال ذلك أن شعيبا مر يوما بناس يتدارسون النحو فقال: " لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده" (الجاحظ، 1332، ص 64). وقد ذكر الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " أمثلة كثيرة ومتنوعة عن اللحن واللكنات، يبين من خلالها أن اللحن كان منتشرا بكثرة آن ذاك وتسرب إلى جميع مستويات اللغة، وقد كان سبب انتشار اللحن، هو أن الناطقين الأعاجم بالعربية كانوا يرتضخون لكناتهم في نطقهم، أي؛ أن العادات النطقية للغتهم الأصلية كان لها سلطانها على ألسنتهم، وقد علل الجاحظ لهذه الظواهر تعليلا مبعثه الملاحظة اللغوية من واقع مجتمعه والتفاعل اللغوي فيه، ومما قاله: "اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها" (الجاحظ، 1332، ص 67) إذا فهذه القضية تثار ضمن ما يسمى بالصراع اللغوي.

كانت الطبقة الأولى من اللغويين العرب أعلم الناس بكلام العرب وبالقرآن الكريم، إذ تهيا لهم قراءة القرآن الكريم برواياته المعروفة والتمكن الواسع فهما للغة العربية وتبصرا بأسرارها، فالقدامى أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175 ه)، وسيبويه (ت180 ه)، وأبو الأسود الدؤلي(ت 95 ه)، وكثيرون غيرهم قاموا بدراسات شاملة مست جميع مستويات اللغة العربية، صوتها وصرفها وتركيبها ودلالتها ومعجمها، لدرجة أن كتب لها الخلود ليومنا هذا، وبالتالي فإنه يؤرخ لنشأة الدرس الصوتي عند العرب، بنشأة الدراسات اللغوية العربية التي كانت بالموازات مع نزول القرآن الكريم، وتدوينه، وتعليمه وقراءته، أين بدأت الملاحظات اللغوية الأولى شفاهة من طرف اللغويين العرب، متمثلين في أصحاب العربية وعلماءها وبعض الصحابة والتابعين، أما الجهد اللغوي المنظم فقد بدأ بالأوراق الأربع التي ذكر ابن النديم أنه شاهدها بخط يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي، فيها كلام عن الفاعل والمفعول، (ابن النديم، 2008، ص 46) ليشرعوا بعدها في جمع مفردات اللغة ووضعها في معاجم، مثل:" معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن ثم استنباط قواعدها وبسطها في كتب، مثل : " الكتاب" لسيبويه، وغيرها من كتب ومعاجم اللغويين، فالمطلع على الكتب والمؤلفات التراثية عند العرب، يجد أنها لا تكاد تخلوا من المباحث الصوتية، وهذه الأخيرة تطورت في القرنين الرابع والخامس للهجرة، وأصبحت علما مستقلا بذاته، ومنه فإن بواكير الدرس الصوتي العربي، قد جاءت مختلطة بالدراسات اللغوية والنحوية الأولى، فنجد في مقدمة معجم العين ملاحظات عن أصوات العربية، (الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1424، ص 47 –61) كما تضمن كتاب سيبويه مباحث مهمة عن أصوات العربية، خاصة في باب الإدغام وباب الوقف. (سيبويه، 2014، ص 431 –168) وما ساهم في ظهور هذا العلم – علم الأصوات – هو اللغة العربية ومعارفها، وايضا القراءات القرآنية ووجوهها الصوتية.

بدأت إرهاصات علم الأصوات مع نزول القرآن الكريم، وكانت تحديدا مع قراء القرآن الكريم، كما تناولها النحاة أيضا، مثل: الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه " العين " وسيبويه في" الكتاب"، والنقاد كالجاحظ (ت 255 ه) في كتابه "البيان والتبين" والبلاغيون أمثال الرماني (ت 386 ه) في كتابه " النكت في إعجاز القرآن الكريم" والأطباء مثل ابن سينا (ت 428 ه) في كتابه "رسالة في أسباب حدوث الحرف"، وقد نجح العرب في الوصول إلى نتائج شاملة وكاملة حول علم الاصوات لقول فيرث: " لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين هما: العربية والسنسكريتية" (عصام نور الدين، 1992، ص 161).

بيد أن ظهور مصطلح "علم الأصوات" كان في القرن الرابع للهجرة، كما أن استقلاله بصورة منفردة واضحة ونهائية في الكتب، كان مع علماء التجويد أيضا في القرن الرابع للهجرة، ولم ينقطع التأليف فيها إلى يومنا هذا، وقد كانت متنوعة بين الطول والقصر وبين النظم والنثر، حين خصصوا للجانب الصوتي كتبا مستقلة سميت بكتب" علم التجويد"، وكانت هذه الجوانب الصوتية الموجودة في بطون كتب علم التجويد متعلقة بقراءة القرآن الكريم، لكنها مستقلة عن كتب القراءات، كما أن أبي مخازم الخاقاني نظم قصيدة تتحدث عن حسن أداء القرآن، وهي أول المؤلفات التي نظمت في الجانب الصوتي المتعلق بالقرآن الكريم، أما القرن الخامس للهجرة، فقد شهد إصدار كوكبة من كتب علم التجويد الزاخرة بدراسات صوتية مكتملة وشاملة من جميع النواحي.

استمر الجانب الصوتي في اكتساب أهمية ومساحة كبيرة بين صفحات الكتب اللغوية نحوها وصرفها ودلالتها ومعجمها حتى عصور لاحقة، والحال نفسه مع كتب علم التجويد التي نجد أنها اهتمت به – الجانب الصوتي – كثيرا، وتتضح معالم هذا الاهتمام خاصة مع أبي الخير محمد الجزري (ت 833 هـ) في شروح "مقدمته الجزرية"، كما أن كوكبة من العلماء المتأخرين كان لهم الفضل الكبير في تعليم قراءة القرآن الكريم وعلى راسهم: محمد المرعشي (ت 1150 هـ / 1737 م) صاحب كتاب "جهد المقل" والذي شرحه بكتابه الآخر "بيان جهد المقل"، حيث يصب موضوعه في علم التجويد وتطرق فيه لأصوات العربية بالدراسة المستفيضة والعميقة والتي نجد أنها تتقاطع في كثير من الأحيان مع الدراسات الصوتية الحديثة.

والجدير بالذكر أنه علينا التصريح بأن الدراسات الصوتية العربية أصيلة في نشأتها، ذاتية في تطورها، علمية في طرحها وتحليلها ومعالجتها، حيث أنها ظهرت نتيجة للحاجة الماسة التي أبداها أصحاب العربية للولوج إلى أعماقها وسبر أغوارها قاطعين في ذلك أشواطا كبيرة توجت في الأخير؛ باستنباط قواعد اللغة العربية، و كان على رأس هذه القواعد المستوى الصوتي، وقد عرفت الدراسات اللغوية عند العرب القدامى بسبقها وتميزها على باقي الدراسات الأخرى، ذلك أن علماء العربية آن ذاك استطاعوا التوصل إلى نتائج اتفقت كثيرا مع لسانيات عصرنا، أو بالأحرى يجدر القول أن الدراسات اللغوية العربية القديمة قد مهدت الأرضية لظهور اللسانيات الحديثة، التي انطلقت منها واستكملت بعض نقائصها، رغم ان العرب القدامى استعملوا حسهم المرهف وذكاءهم الفذ والفريد، و اعتمدوا على وسائل جد بسيطة وبدائية ولكنهم توصلوا إلى نفس نتائج الدراسات الحديثة التي اعتمد فيها أصحابها على وسائل جد دقيقة وحديثة، ومكملة لبعض من الجزئيات التي فاتت العرب القدامى ليس لقلة ذكائهم وإنما تلك الجزئيات كانت تحتاج لتلك الأجهزة الجد دقيقة

للكشف عنها، إذا فالصوت اللغوي هو موضوع علم الأصوات الذي لم يكن للغربيين فيه فضل السبق إلا فيما أضافوه من مناهج ومعلومات، لقول بروجستراس: "لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند (البراهمة) والعرب، وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم اتبعه أعجمي وهو سيبويه، وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءا من أجزاء النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم." (بروجستراس، 1929، ص 5)، ومنه نقول أن المسلمين قد اهتموا بالقرآن الكريم، وركزوا على النطق الصحيح لحروفه، وحسن تجويده، الذي تمخض عنه علم يهتم كثيرا بالجانب الصوتي ألا وهو "علم التجويد".

إن تأسيس الدرس الصوتي العربي، يتزامن مع ظهور بعض الدراسات، التي قام بها أصحاب العربية ومنهم: أبو الاسود الدؤلي مخترع نقط الإعجام، التي وضعها على أحرف القرآن الكريم، لقول أبي الأسود الدؤلي (ت 69 ه) لكاتبه الذي اختاره من أفصح القبائل العربية، وهي قبيلة "عبد القيس": "خُذِ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فانقط بين يدي الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإذا أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين" (الداني، 1960، ص 4). إن طريقة أبي الأسود الدؤلي تتمثل في ملاحظة الكاتب لأعضاء نطقه، ثم على أساسها يضع نقطا على أحرف القرآن الكريم بلون يخالف مداد المصحف، وهي ثلاث علامات تدل على ثلاث حركات، فالفتحة تدل عليها نقطة فوق الحرف، والضمة هي نقطة إلى جانب الحرف وأما الكسرة فهي نقطة أسفل الحرف، ونقطتين متجاورتين أعلى الحرف هما للتنوين، فهذه هي الطريقة التي اتبعها أبو الأسود الدؤلي لنقط المصحف، وكان له فضل السبق في ذلك، ليقوم بعد ذلك نصر بن عاصم (ت 89 ه) بخطوة ثانية تمثلت في "نقط الاعجام"، أي؛ التمييز بين الأحرف المتشابهة في الرسم، وقيل أن يحيى بن يعمر قد شارك نصر بن عاصم في هذه المهمة .

أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد قام ببعض التعديلات على نقط أبي الأسود الدؤلي: "إذ جعل الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف، والفتحة ألفا صغيرة مبطوحة فوق الحرف، والكسرة ياءا صغيرة تكتب تحت الحرف، فهذه الحركات القصيرة الثلاث مأخوذة من صور حروف المد الثلاث، ثم جعل للشدة علامة رأس الشين، وللسكون علامة رأس الخاء، وعلامة للمد، وعلامة للروم والاشمام، ... وقد زاد على هذه العلامات من التحسين ما جعلها على حالتها التي نراها عليها" (ينظر، الداني، 1960، ص 6).

لقد قيل أن الرواد المجهولين الذين طوعوا نظام الكتابة الخاص باللغة السامية الغربية الشمالية لاحتياجات اللغة السامية الغربية الجنوبية ؛ هم أول من استلم مهمة تحليل النظام الصوتي للعربية، على الرغم من أننا لا نعرف عنهم شيئا، ولا عن خلفائهم الذين قاموا بدفع من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (86 هـ / 705 م) تحت إشراف والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، بإجراء بعض التعديلات على نظام الكتابة العربي حتى يلائم احتياجات لغة الحكم والإدارة، وذلك بزيادتها لنقط الأعجام ونقط الإعراب، وتؤكد درجة الملائمة العالية لنظام الكتابة الذي طوروه، على تحليل تقني عميق لطريقة عمل النظام الصوتي العربي، إلا أنهم في النهاية لم يتركوا أي أثر لأي عمل أو مؤلف حول الأفكار التي قاموا بها في هذا المجال. (يوهاس جيوم كولوغلي، 2008، ص 141).

يعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي (185 هـ / 791 م)، أول علم من أعلام الدرس الصوتي للغة العربية، وله إسهامات لغوية مباشرة، فهو مخترع عدة علوم عربية، منها: العروض، والمعجم، والموسيقى، والرياضيات، بالإضافة إلى أن له عمل صوتي مبكر ألا وهو "معجم العين"، الذي رتب فيه الوحدات المعجمية حسب خطة صوتية؛ من أقصى نقطة في جهاز النطق إلى الشفتين، وكان هذا هو سبب تسمية المعجم بـ "العين"، ذلك أن صوت العين هو أدنى صوامت العربية في الحلق.

ينبغي أيضا الإشارة إلى أن سيبويه قد عرض في عدة مواضع من كتابه "الكتاب" إلى الجانب الصوتي، وكانت أفكاره قد استمدها من توجيهات الخليل الذي كان مرجعه بامتياز آن ذاك، ونجد أن سيبويه قد تناول الجانب الصوتي تناولا هامشيا حقّا، ذلك أنه لم يتعرض لها إلا في عدة صفحات في نهاية كتابه، عندما ناقش مشكلات الإدغام في أصناف معينة من الكلمات، حينها أدرك وتفطن إلى ضرورة تقديم نظرة عامة على النظام الصوتي للغة العربية، فصنف أصواتها إلى : أصوات راقية اجتماعيا (فروع مستحسنة) وأخرى هابطة اجتماعيا (غير مستحسنة)، والخصائص الصوتية الرئيسية التي على أساسها تم التصنيف . وكانت الطريقة التي تناول بها سيبويه هذه الامور كلها، والمصطلحات التي استخدمها للإشارة اليها، نجد أن كل من أتى بعده قد استخدمها بولاء عظيم، فلم يجرأ أي أحد على تقديم إضافة جديدة أو تعديل على منهج سيبويه منذ ذلك الوقت.

إن أعظم الشخصيات في علم الأصوات بعد الخليل وسيبويه يكون: ابن جني (392 هـ / 1002 م) صاحب أول كتاب مستقل ومخصص لعلم الأصوات وهو كتاب "سر صناعة الإعراب"، وله كتاب آخر مشهور وزاخر بالملاحظات الصوتية هو كتاب "الخصائص"، ويعتبر ابن جني هو أول النحاة الذين تفطنوا إلى أن الصوائت (الحركات) وحدات صوتية كالصوامت (السواكن) سواء

بسواء، وإن كانت تختلف عنها بكيفية نطقها. ويبدو أنه أحس كذلك بالوظيفة التكاملية لهذين الصنفين الكبيرين من الأصوات فيما يتعلق بتركيب المقاطع، كما أن ابن جني قد أدرك الأهمية اللغوية للنبر والتنغيم، وهذا ما يدحض الرأي الذي يقول بأن اللغويين العرب فشلوا في التعرف على هذه الظواهر.

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم في البداية قد تعلمه الناس، ونقلوه مشافهة، وبقيت هذه الطريقة الشفوية في النقل حتى بعد كتابة المصحف العثماني، بدليل وجود سبع قراءات قرآنية متواترة ومختلفة، كما أن قراءة القرآن قديما قد تطورت وأصبحت تقنية وتحتاج إلى تدريبات شاقة وطويلة، وقد وُجِد لفن التجويد عدة دراسات تحمل عددا هائلا من المصطلحات التقنية المستخدمة لوصف طرق نطق الألفاظ، والإيقاع الصحيح، ومواضع الوقف، لكن هذه المصطلحات لا يمكن فهمها نظريا وإنما الفهم الصحيح لها يستوجب التطبيق أو التلقي العملي من طرف قراء القرآن الكريم، الذين تلقوا العلم وتعلموا التلاوة ومارسوها مباشرة على يد أشياخ لهم خبرة كبيرة ومشوار طويل في هذا المجال.

إن مجال علم التجويد هو مجال عملي زاخر جدا بمعلومات متعلقة بمشكلات أصوات اللغة العربية، بحيث كان لا بد عليه – علم التجويد – أن يسجل كل التفاصيل الدقيقة المتعلقة بكل صوت من أصوات اللغة العربية وما يطرا عليها من تغييرات نطقية وفيزيائية.

إن مساهمة علماء وظائف الأعضاء متمثلين في: مجموع الأبحاث والدراسات والمؤلفات التي أنجزها الأطباء حول الجهاز الصوتي، وعلى راسهم ابن سينا (429 هـ / 1037 م)، صاحب أهم وأشهر كتاب في هذا المجال ألا وهو كتاب "أسباب حدوث الحرف"، وهو كتاب صغير الحجم (فيه عشرون صفحة) عرض فيه كل ما جاء به الأطباء العرب القدامى حول إنتاج اصوات الكلام، وقد قسمه إلى ستة فصول مرتبة ومختلفة المواضيع كالآتي:

سبب حدوث الأصوات عامة.

سبب حدوث أصوات الكلام.

تشريح الجهاز الصوتي.

تحليل أصوات الكلام العربي.

تحليل أصوات الكلام غير العربي.

تكوين الأصوات غير الكلامية التي تشبه الأصوات الكلامية.

واستطاع ابن سينا في هذا الكتيب أن يدرك فعلا حقيقة الطبيعة الترددية للصوت والبنية الأساسية لعملية السمع، ويقول في هذا الصدد: "أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان... ثم ذلك الموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصِّماغ فيُموِّجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه." (ابن سينا، 1983، ص 4- 5)، هذا النص حدد لنا بدقة دور الحنجرة والوترين الصوتيين في إنتاج أصوات الكلام.

أما الفصل الثالث فقد خصصه ابن سينا للوصف الدقيق للمكونات المختلفة للحنجرة وحركة كل منها بالنسبة للآخر، وأن هذه الحركات تسبب ضيقا أو توسعا للحلق، وهو سبب الطبيعة الترددية للأصوات من حيث الارتفاع والانخفاض، ومن حيث الغلظ والرقة، وقدم في الفصل الأخير مجموعة من التجارب المتعلقة بإنتاج الأصوات التي تشبه أصوات البشر، ثم يقوم باستخلاص نتائج متعلقة بالطريقة التي ينتج بها البشر الأصوات.

وقد صرح بوهاس – جيوم – كولوغي بان ابن سينا في كتابه هذا؛ هو اول من تطرق الى موضوع التركيب الصناعي للأصوات الشبيهة بأصوات الكلام. ومنه فان علم الاصوات قد تداولته مجموعة من الاسماء العربية البارزة.

2.2. أسبقية وأصالة العرب في الدراسات:

مما لا شك فيه أن علم الأصوات هو علم عريق وله تاريخه في اللغة العربية، وإن لم يكن وقتها معروفا بهذا الاسم، إلا أن له جذوره وملامحه التي تدل عليه، والمجودة في بطون كتبهم. إن الدارسين العرب لم ينالوا حظهم أثناء تأريخ الغرب المحدثين لعلم اللغة وعلمائه، ومن الأمثلة على ذلك ؛أن جورج مونين في تأريخه لعلم اللغة، لم يحظ منه علماء العربية القدماء إلا بأسطر قليلة، (جورج مونين، 1972، ص 106) فجهودهم أنكرها الغرب ولم يقروا بها، أو ربما على حد تعبير الدكتور حلمي خليل: "تنم عن الجهل بالتراث أكثر مما تنم عن الإهمال" (حلمي خليل، 1979، المقدمة) وفي بعض الأحيان نجد أن ما يقره الغرب عن الدراسات الغربية الحديثة قليل جدا، وما كتبه روبينز robinsعنهم؛ إشارات ضئيلة عن الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات والمعجم، (robens، 128 98 p)، إلا أن المستشرق الألماني ا.شادة كانت له نظرة مغايرة، فقد كان منصفا واتجه إلى الإقرار بأعمال الدارسين العرب القدامى وإسهاماتهم الجبارة في الحضارة الإنسانية، وأن ما قدموه حول الدراسات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية لم يسبقهم أحد اليها، وقد كان له في ميدان علم الأصوات بحث بعنوان (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا)، انتهى فيه إلى أنه من الصعب إضافة أي تعديل على ما قدمه سيبويه من تحديدات علمية لكل ما تعرض لدراسته

من الظواهر الصوتية، اللهم فيما عدا موضوع الحنجرة التي لم يعرف العرب لها وظيفة صوتية، فجعلوها جزءا من الحلق، (عبد الصبور شاهين، 1980، ص 18)، وقد قال الدكتور عبد الصبور شاهين في هذا الصدد: "وقد لوحظ على تأريخ الأوروبيين للدراسات اللغوية، أنهم يقتصرون في سرده على جهودهم بدءا من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، دون أن يعرج أحد منهم على ما قدم العلماء العرب من جهود فذة في هذا الميدان." (عبد الصبور شاهين، 1980، 20 21)، وبما أن الأوروبيين لم يذكروا أي جهد عربي، كان لزاما على العلماء العرب أنفسهم أن يعرفوا بجهودهم وجهود أسلافهم حول مختلف الدراسات اللغوية التي قدموها، ذلك أن أغلب الأوروبيين لم يعترفوا بما قدمه العرب من نتائج تتسم بالأصالة والشمولية، حتى أن تلك الفئة القليلة التي اعترفت بجهود العرب، لم تفض في ذلك بل كانت مجرد اعترافات سطحية وفي أسطر قليلة جدا، في حين أنهم لو أقروا صدقا لكان كل مبحث من المباحث اللغوية جاز أن تؤلف فيه مجلدات وكتب كبيرة.

كما أن فئة أخرى من الدارسين الغرب المحدثين، قد أثاروا غبار الشوك حول الأعمال التي قدمها العلماء العرب القدامى، وما يتأسف له حقيقة؛ أنه من الباحثين العرب من سار على نفس دربهم، بل وروج لأفكار ومعتقدات هؤلاء المستشرقين أيضا، لكن ردة فعل أهل وأصحاب العربية كانت بعيدة كل البعد عن التعصب والانفعالية. والمتفحص لكتب التراث في اللغة العربية، يجد بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي قد تفطن إلى الأصوات قبل الغربيين، وذلك عندما اعتمد في ترتيب مفردات معجمه العين على مخارج الأصوات، كما أن ابن جني أشار للأصوات حين عرف اللغة بأنها أصوات، وهذا يدل على ان علم الأصوات كان متواجدا منذ القدم في رفوف المكتبة العربية، وله جذوره في التراث اللغوي العربي، فهو الأساس الذي تبنى عليه مختلف العلوم.

لقد قام سيبويه بجمع أعمال الخليل وغيره ودونها في كتابه الكتاب، وهذا الكتاب اختلف حول أصالته فئة من الباحثين، هل هو مبتكر أم منقول؟ لأنه جاء ناضجا، تاما، وشاملا من أول مرة من صدوره، وهذا لا يعقل، وأن كل ما جاء بعده هو شرح له، ومستفيد منه، إضافة إلى وجود شبه بين تصنيف الهنود لأصوات اللغة السانسكريتية حسب المخارج، وتصنيف علماء العربية لها، حيث أن الهنود قد رتبوا الأصوات ابتداء من أقصاها، وهو نفس الترتيب الذي نجد العرب قد اتبعوه، كما أن الدراسات الصوتية قد ظهرت عند العرب دفعة واحدة، وهذا في نظرهم لا يعقل، كما أن البحور الشعرية التي وضعها الخليل تشابه تلك التي عند الهنود، لكن محمود السعران يرد بقوله: " وليس لدينا دليل يقطع بأن العرب أخذوا عن الهنود إلا الاستنتاجات العقلية". (محمود السعران، 1944، 76 –77) وقد اتهم تصنيف الخليل لمعجمه العين أنه مستلهم من ترتيب حروف الهجاء عند النحاة

السانسكريتيين، ونجد أن شوقي ضيف قد سار في نفس دربهم بقوله: "وقد وضع الخليل معجما للعربية بترتيب مخارج الحروف، متأثرا بالهنود في ترتيب حروف لغتهم". (شوقي ضيف، 1960، ص 132) أما أحمد مختار، فقد عرض بعض نقاط الاتفاق بين العرب والهنود في الدراسات الصوتية في كتابه "البحث اللغوي عند الهنود"، وفيه صرح بأن هذه القضية تتنازع فيها ثلاث اتجاهات: اتجاه يقطع بالأخذ عن الثقافة الهندية واتجاه يرفض ذلك، واتجاه يقف بين بين، ويأخذ أحمد مختار بالاتجاه الأوسط.

ومن ثم تحول الوهم إلى يقين عند البعض. أما الدكتور بدراوي زهران، فقد قال: "والرأي عندي أنه لا يوجد غير اتجاهين اثنين بدليل أن الرأي الوسط يذهب إلى وجود الأخذ ولكنه لا يملك عليه دليلا على نحو ما هو واضح من رأي الدكتور محمود السعران ودائرة المعارف الإسلامية، بل ومن قول الدكتور مختار نفسه وبدليل نصه هو، حيث يقول عن الرأي الذي يميل إليه أنه: "هو ذلك الذي يرجح جانب الإيجاب على جانب السلب، ويثبت تأثيرا هنديا من نوع ما على اللغويين العرب، أو على الأقل يميل بدرجة كبيرة إلى احتمال وجود هذا التأثير". (بدراوي زهران، ص 130)، أما الدكتور أحمد مختار، فقد رد على الدكتور عبد الرحمان أيوب في محاضراته في علم اللغة، التي ألقاها على طلبة الليسانس بكلية دار العلوم في العام الدراسي 1967 –1986 م، والتي يقول قال فيها أنه من الممكن أن نلخص مميزات الدراسة اللغوية الهندية في أمور هي:

- العناية بدراسة الأصوات ومخارجها.
- عدم الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية.
- الاعتماد على أشكال الألفاظ في تقسيمها إلى أنواع.

وبالنظر إلى كتاب سيبويه، نجد أنه على العكس من الكتب النحوية المتأخرة، قد تميز بهذه المميزات الثلاث نفسها، ومن أجل هذا نفسر الاختلاف بين كتاب سيبويه والكتب المتأخرة ؛ بأن سيبويه قد تأثر في تبويب كتابه بالطريقة الهندية في التأليف، أما المتأخرون فقد تأثروا بالمنطق الإغريقي، كما صرح بأن الهنود لم تكن لديهم مدرسة نحوية واحدة، وحتى إن كان الدكتور أيوب يقصد المدرسة البانينية، فليس هناك وجه شبه بين منهج هذه المدرسة ومنهج سيبويه في الكتاب، أو منهج أي نحوي عربي جاء بعد سيبويه حتى يومنا هذا، وأن النحو العربي لم يتخلص من سلطان الفلسفة كما ظن الدكتور أيوب، وعدّ ذلك فرقا أساسيا بين الهنود واليونانيين، ووجد اتجاه بين الهنود لفلسفة النحو الهندي وصبغه بالصبغة العقلية، ومرجعه في ذلك مواطن كثيرة من أقوال

chakravarti في كتابه the philosophy of sanskrit grammar، لكنه لم يثبت أن كتاب سيبويه لا يخالف كتب المتأخرين من ناحية التأثر بالمنطق.

إنه ومما لا شك فيه أن جميع علماء العربية قد اطلعوا على ثقافات الأمم الأخرى واستفادوا منها، كما لا يخفى على أي باحث ومتخصص في اللغة العربية، إنكار التأثير الذي أحدثته الثقافة الهندية وكذلك الثقافة اليونانية والثقافة الفارسية في التراث اللغوي العربي، غير أنها لا تتعدى كونها مجموعة مشابهات وتأثيرات لا تطعن في الأصالة ولا تنقص منها، ولا يخفى على بال أحد منا أن التقاء الحضارات يؤدي إلى تأثير وتأثر بينها، كما أن انولينهان قال بأن: "الأوروبيين قد اختلفوا في أصل هذا العلم فمنهم من قال: أنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، وقال آخر ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الرأي الذي وجد في كتب العرب من زمن .. ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا، وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ... لكن كما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق، تعلموا شيئا من النحو.. وبرهان هذا أن تقسيمهم الكلمة مختلف قال سيبويه: "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وهذا تقسيم أصلي .. أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى اسم وفعل ورباط، وهذه الكلمات ترجمت من اليونانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو. أما كلمات اسم وفعل وحرف، فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت". (ضحى الإسلام، 292 –293) كما أن كارل بروكلمان يرى أنه لا يمكن إثبات التأثير الأجنبي في النحو العربي، لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية، ويرى أيضا عدم وجود تأثير هندي في علم الأصوات العربية، وإن وجدت بعض المشابهات العارضة اتفاقا من طبيعة البحث (كارل بروكلمان، ص 124).

3. قضايا تطبيقية:

1.3. مفهوم الصوت اللغوي:

إن جوهر اللغة يفهم من خلال دورها في حياة الجماعة اللغوية الناطقين بها، وفي حياة الإنسان بصفة عامة، فدراسة اللغة تستدعي دراسة عملها في المجتمع، فهي تقوم بنقل خبرات الإنسان وتنقل أفكاره عن طريق الصوت المنطوق، وهي على حد تعريف ابن جني: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، 1956، ص 33). إن هذا التعريف لابن جني، ركز فيه على أمرين أساسيين، أولهما؛ أن اللغة أصوات وليست ظاهرة مكتوبة، وثانيهما أن اللغة وظيفتها التعبير عما تحمله النفس البشرية، في إطار اجتماعي، فابن جني هنا وضع اللغة بقالب الأصوات،

ذلك أن الأصوات هي الجانب العملي للغة والوسيط بين جميع أفراد المجتمع حيث يستعملونها؛ فيسمعونها، ويستمعون بها أثناء عملية الكلام.

طالما كان الصوت هو المصدر الرئيسي الذي يعتمد عليه الانسان لتلبية حاجياته الأولية منذ القدم، فالأصوات موجودة منذ الأزل وهي أسبق في الظهور من اللغة، ذلك أن الإنسان القديم كان يستمع إلى أصوات الطبيعة المحيطة به، ومن هنا بدأ يحاكي هذه الأصوات شيئا فشيئا، حتى توصل إلى الصوت اللغوي، فاستطاع الانفراد والتميز به، وانطلق منه لبناء الحضارة الإنسانية، فقد اكتسى أهمية كبيرة جعلت الذين يقبلون عليه ثلة كبيرة، وفيما يلي سأعرض مجموعة من المفاهيم الدقيقة التي وردت حول الصوت اللغوي.

الصوت اللغوي هو: "مادة الألفاظ وأساس الكلام المركب وعناصره الأساسية وآلياته." (حسن ظاظا، 1976، ص 7).

إن أبكر من تعرض إلى مفهوم الصوت اللغوي هم عدة دارسين قدامى، ومنهم:

الجاحظ (255 هـ) الذي عرفه فقال: "هو آلة النطق، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا، إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف." (الجاحظ، 1332، ص 56)

أما ابن جني (ت 392 هـ) فقد عرفه بقوله: "هو عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته." (ابن جني، 1421، ص 19) أي أنه ركز على كيفية خروج الأصوات من مخارجها، وشبه الحلق والفم بآلة الناي، فالحلق بالوتر، والخفة والاهتزاز بالمضراب على الوتر كأول الصوت في أقصى الحلق، وجريان الصوت في الوتر عندما يكون غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، أما الضغط والحصر بالأصابع الذي يعترض جريان الصوت في الناي، فهو كالاعتراض الذي يحدث للصوت في مخارج الحروف من المقطع، فتكوين الصوت اللغوي، هو كتكوين الأصوات في الناي والعود، بحيث يصدر الصوت اللغوي بتحرك الهواء في اتجاه واحد من ممر مغلق، فتحدث في طريق خروجه اعتراضات في مواضع مختلفة كالحلق والفم، تتسبب في حدوث أصوات متنوعة .

أما الدكتور تمام حسان يقول في تعريفه للصوت اللغوي: " إنه حين يتكلم المتكلم، نلاحظ أنه يقوم بحركات خاصة بفكه الأسفل وشفتيه ولسانه، ونلاحظ كذلك أن أثرا سمعيا معينا يصل إلى آذاننا فنفهم أنه مرتبط بهذه الحركات التي في فم المتكلم. هذا الأثر السمعي لا يبدو في مظهر

ذبذبة مستمرة طويلة غير معدّلة، كالتي نسمعها من صفارة الإنذار أو من صفارة القطار، وإنما هي معدلة بمقدار ما يصاحبها من حركات الفم." (فدوى محمد حسان، 2011، ص 13).

ويختصر الدكتور مناف مهدي محمد التعاريف السابقة للصوت اللغوي بقوله: "هو أثر سمعي يصدر إراديا عن أعضاء النطق، وهو يتطلب أوضاعا محددة وحركات معينة لهذه الأعضاء." (مناف مهدي محمد، 2007، ص 27).

من خلال المفاهيم السابقة للصوت اللغوي يتضح لنا جليا أن الصوت الصادر عن جهاز النطق عن الإنسان ليس بالضرورة أن يكون دائما صوتا لغويا، لأنه قد يكون مثلا: صوت الألم أو الخوف أو صوت آخر لا إرادي، وهذه الأصوات لا تعتبر أصواتا لغوية؛ لأن الصوت اللغوي يخرج بإرادة صاحبه ويكون مفهوما ومعدلا، فيكون كلمات لها مدلولها الخاص، ثم تتشكل جملا تحمل معاني معينة.

فعندما ينبح الكلب ليحذر القطيع من الذئاب، هذا يعتبر ضجيجا للتحذير وهو بمثابة رد فعل، أما الكلام الذي يقوله الراعي حتى يحذر بقية الرعاة؛ هو عبارة عن مجموعة من الجمل تتكون من عدة أصوات لغوية مفهومة ومتناسقة فيما بينها، ومأخوذة من اللغة المتداولة بين الجماعة اللغوية الواحدة.

ولا يكون الصوت لغويا إلا إذا احتوته جملة من الخصائص نوجزها بالآتي:

- أن يصدر عن جملة من أعضاء الجسم الإنساني. وعلى هذا لا يعد التصفيق أو صوت إطلاق الرصاص صوتا لغويا وإن كان دالا.
- ولا بد لهذا الصوت أن يكون نتاج إرادة إنسانية. ولذا لا يكون الهذيان أو صوت المحموم صوتا لغويا لانتفاء الإرادة في إصداره.
- أن يكون صادرا بطريقة آلية معينة تتحدد "باندفاع الهواء من الداخل إلى الخارج لأن هناك أصواتا تصدرها أعضاء النطق الطبيعية باندفاع الهواء في الاتجاه العكسي أي؛ من الخارج إلى الداخل، فمثلا التقبيل هو صوت يحدث باندفاع الهواء إلى الداخل عبر الشفتين، أي؛ أنه يحدث بامتصاص الهواء وهو صوت له دلالة فقد يعبر عن الحب وقد يعبر عن الاحترام وقد يعبر عن الغرام ولكنه ليس لغة، لفقدانه هذا الشرط، وكذلك شهيق الدهشة وأنواع من أصوات الرفض أو الاستهزاء ونحوها التي تحدث بامتصاص الهواء نحو الداخل. (حسن ظاظا، 1871، ص 37 – 38).

2.3. فروع علم الأصوات:

تصنف الأصوات وتختلف فيما بينها على أساس الموضع المحدد في الجهاز النطقي الذي يتم عنده الاعتراض في مجرى الهواء، والذي يخرج الصوت منه، ويسمي اللغويون العرب ذلك (المخارج) ويسميه ابن دريد (321 هـ) (المجرى)، (ابن دريد، 1980، ص 2)، ويسميه ابن سينا (428 هـ) (المحابس)، أما المحدثون من علماء اللغة فيسمون ذلك (موضع النطق) point of articulation ولعلم الأصوات جانبين:

- **الجانب الصوتي الفيزيقي aspect acoustique:** الذي يدرس البيئة الفيزيقية للأصوات المستعملة، كما يدرس كيف تقاوم الأذن هذه الأصوات.
- **الجانب المخرجي أو العضوي (الفيزيولوجي):** الذي يهتم بجهازنا المصوت وبالطريقة التي تنتج بها أصوات اللغة.

وهناك من يجعل فروع علم الأصوات كالآتي:

- **علم الأصوات العام:** وهو دراسة الإمكانات الصوتية الفيزيقية للإنسان، ودراسة تشغيل جهازه المصوت.
- **علم الأصوات الوصفي:** وهو دراسة الخصائص الأصواتية للغة معينة أو لهجة.
- **علم الأصوات التطوري أو التاريخي:** وهو دراسة التغيرات الأصواتية التي تتعرض لها لغة معينة خلال تاريخها، ويمكن أن يكون لعلم الأصوات التطوري جانب عام يدرس فيه العوامل العامة التي تحكم التطور الصوتي.
- **علم الأصوات المعياري:** وهو مجموعة القواعد التي تحكم النطق السليم للغة معينة، فالضبط يستلزم وجود معيار للنطق الصحيح داخل مجموعة لغوية دولة كانت أو مقاطعة أو وحدة ثقافية أو مجموعة اجتماعية. (برتيل، 2003، ص 78 –8 –9)

أما الدكتور شرف الدين الراجحي فيقترح تصنيفا آخرا لعلم الأصوات:

- **علم الأصوات النطقي articulatory phonetics:**

وهو العلم الذي يتناول الأصوات اللغوية من حيث مخارجها وصفاتها وكيفية النطق بها، وكان هذا درس القدماء للأصوات لأنه لم يتوفر لهم الاجهزة العلمية.

- **علم الصوات الآلية أو الأكوستيكي acoustic phonetics:**

ويدرس هذا العلم التركيب الفيزيائي physical للأصوات المستخدمة وتبادل الذبذبات وانتشار الموجات الصوتية.

- **علم الأصوات السمعي auditory phonetics:**

وهو العلم الذي يتناول ما يحدث في الأذن عندما يصل الصوت إليها، وهو أحدث فروع علم الأصوات وله جانبان: (جانب نفسي وجانب فسيولوجي)، أما الجانب النفسي؛ فيدرس تأثير الذبذبات الصوتية في السمع، وإدراك السمع للأصوات المنطوقة.

أما الجانب الفسيولوجي فيعنى بالذبذبات الصوتية عند استقبال أذن السامع لها.

- **علم الأصوات المقارن comparative phonetics:**

ويعنى بالمقارنة بين أصوات لغتين تنتميان إلى عائلة واحدة أو عائلتين مختلفتين، فيبين أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

- **علم الأصوات التاريخي historical phonetics:**

ويعنى بدراسة بعض الأصوات عبر التاريخ، من تطور في النطق الدلالي والأسباب والمؤثرات التي أدت إلى ذلك.

- **علم الأصوات المعياري normative phonetics:**

ويعنى بوضع المعايير النموذجية لنطق أصوات لغة معينة.

- **علم الاصوات التجريبي experimental phpnetics:**

ويعنى هذا العلم بدراسة خصائص الأصوات باستخدام الأجهزة العلمية والإلكترونية مثل الكيموجراف والبلاتوغرافيا أو الحنك الصناعي وجهاز الأوسيلوجراف وغيرها . (شرف الدين الراجحي، ص 27-28)

- **علم الأصوات الوظيفي phonology :**

إن المطلع على مختلف الكتب التي تناولت فروع علم الأصوات، يجد بأنها تختلف فيما بينها في الحديث عن فروع علم الأصوات، فالدراسات الصوتية في القديم؛ مبنية في أساسها على الجانب النطقي بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها، في زمن حرم معظم فروع العلم وآلاته

وأجهزته الفنية، التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي، ويظهر هذا الاتجاه النطقي واضحا في أعمال العرب، كما تشهد بذلك آثارهم العملية، والمصطلحات، والتصنيفات الصوتية التي خلفوها من ورائهم، وكذلك سار على هذا النهج غيرهم من الأمم في أوروبا وغيرها، عندما أتيح لهم تعرف هذا العلم فيما بعد. (كمال بشر، 2000، 47 –48)، فلعم الأصوات عدة تقسيمات حسب مسيرة الأصوات ومراحل أدائها، وحسب طبيعتها المادية والوظيفية، وحسب وجهات النظر أثناء دراستها وتحليلها، فحتى إن وجدت بعض الاختلافات بين القدامى والمحدثين، إلا أنهم في الأخير يتفقون حول الأمور الأساسية والخطوط العريضة.

4. الخاتمة:

ظهر الدرس الصوتي العربي في رحاب التحول الذيأ القرآن الكريم بعد نزوله، حيث استطاع أن يُعمل عقول الدارسين آن ذاك من لغويين، ونحاة، وعلماء التجويد والقراءات، والأطباء، هؤلاء الذين تضافرت جهودهم وتمخض عنها نشأة علم جديد وأصيل النشأة ألا وهو: " علم الأصوات" الذي ظهر وتطور على أيديهم، فبعد أن كان بدافع ديني، انقلب فيما بعد إلى درس قائم بذاته، نتائجه تقاطعت في كثير من الأحيان مع نتائج المحدثين مثلا: في مفهوم الصوت اللغوي وفي فروع علم الأصوات.

5. قائمة المراجع:

1. ابن النديم ، الفهرست ، المطبعة الرحمانية مصر.
2. ابن جني ،الخصائص كتب المصرية تح محمد علي النجار 1956 ج .
3. ابن جني، سر صناعة الاعراب دار الكتب العلمية ج 1 .
4. ابن دريد ،الجمهرة ، دار المعرفة الجامعية ، ت مصطفى كرنكو و محمد نجيب السورتي ، ج 1 .
5. ابن سينا ، اسباب حدوث الحروف ، مجمع اللغة العربية .
6. انوليمان ضحى الاسلام، محاضرات ط 5 مكتبة النهضة المصرية.
7. بدراوي زهران، مقدمة في علوم اللغة دار المعارف .
8. برتيل مالمبرج ، علم الأصوات ، مكتبة الشباب ، فلسطين .
9. بروجستراس ، التطور النحوي للغة العربية ، ط ، 1929.
10. الجاحظ، البيان و التبيين مطبعة الفتوح العربية ج 1 .

11.الجاحظ، البيان و التبيين، مطبعة الفتوح الادبية.
12.جورج مونين ، علم اللغة تر بدر الدين القاسم مطبعة جامعة دمشق دمشق د ط 1972 .
13.حسن ظاظا ،الانسان و اللسان . مدخل الى معرفة اللغة دار المعارف مصر 1871.
14.حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية دار النهضة بيروت 1976.
15.حلمي خليل ، التعريف بعلم اللغة الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية ط1.
16.الخليل بن احمد الفراهيدي ، العين ، دار الكتب العلمية..
17.الداني، المحكم في نقط المصحف ، ت حسن عزة ، دمشق ، 1960.
18.سبويه ، الكتاب ،الخانجي.
19.شرف الدين الراجحي ، علم اللغة عند العرب و رأى علم اللغة الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .
20.شوقي ضيف ،الفن و مذاهبه في الشعر العربي دار المعارف .
21.عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام مكتبة وهبة للطباعة و النشر.
22.عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام18 مكتبة وهبة للطباعة و النشر
23.عصام نور الدين ، علم وظائف الاصوات اللغوية ، الفونولوجيا ، دار الفكر اللبناني ، ط 1.
24.فدوى محمد حسان، اثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القران الكريم عالم الكتب الحديث عالم الكتب الحديث الاردن 2011 .
25.كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي داتر المعارف .
26.كمال بشر ،علم الاصوات، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع .
27.محمود السعران، علم اللغة ، دار النهضة العربية.
28.مناف مهدي محمد ،علم الاصوات اللغوية ، عالم الكتب .
29.ينظر ، الداني، المحكم في نقط المصحف ، ت عزة حسن ، دمشق ، 1960.
30. ينظر بوهاس – جيوم – كولوغلي، التراث اللغوي العربي ، دار السلام للطباعة و لنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة مصر ، تر محمد حسن عبد العزيز و كمال شاهين ، ط 1 ، 1429 هـ – 2008 م .

A short history of linguistics r.h robins ; second edition . a longman paperback .